

تاريخ الإرسال (2019-08-23)، تاريخ قبول النشر (2020-02-10)

أ. حنان محمد حميدة أبو سليم

اسم الباحث:

عمان / الأردن

1 اسم الجامعة والبلد:

\* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: [hanoona.abusaleem88@gmail.com](mailto:hanoona.abusaleem88@gmail.com)

## صورة المرأة في ديوان الحماسة لأبي تمام

<https://doi.org/10.33976/IUGJHR.29.1/2021/12>

### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على صورة المرأة كما ظهرت في ديوان الحماسة للشاعر أبي تمام ، فالشعر العربي قديمه وحديثه قد أولى المرأة عناية خاصة ، ورسم لها صورة واضحة المعالم ، فالتمتأمل في هذا الديوان سيجد أن للمرأة العربية حضوراً بارزاً في مختاراته الشعرية ، حيث ظهرت صوراً للمرأة أبرزها : صورة المرأة المحبوبة ، والمرأة الغانية ، والمرأة العاذلة ، والمرأة النّادبة ، والزّوجة .

كلمات مفتاحية: صورة المرأة، ديوان الحماسة، النّادبة، المحبوبة، الغانية.

### The woman in Al-Hamasa Divan for Abi Tammam

#### Abstract:

The purpose of this research is to identify the image of the woman as it appears in the divan of enthusiasm for the poet Abi Tammam. The woman has been given a special attention in old and modern Arabic poetry and it drew a clear picture for her. The one who meditates in this divan will find that Arabic woman has a prominent presence in Abi Tammam's poetic selections. The most prominent are: the image of the beloved woman, the pretty woman, the querulous woman, the complaining woman, and the wife.

**Keywords:** the wife ,complaining woman ,beloved woman, the image, pretty woman

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ أما بعد :

المرأة نصف المجتمع، وشقيقة الرجال ، وعائلة الأمة ، ومنجبة الأجيال ، اتكأ عليها الزوج فشاطرته همومه ، واحتوت الأبناء بأمومتها ، وحنّت على الآباء بقوة عاطفتها ، وحين تكون الأخت فهي مرفأ الأمان ، ولما كانت الصديقة كانت الإخلاص والوفاء والمودة .

فلماذا لا نخصّها بالكتابة ؟ وهي من قامت بسببها الآداب ، فكانت الوتر الحساس الذي حرّك الشعر، ونهض بالأدب ؛ فتفاعلت بوجوده الحياة .

منذ الجاهليين كانت سعاد ولبنى وليلى مطلع القصيدة ، بها يتغنى الشعراء ، وعلى وصفها يقيمون قصائدهم ، وكانت لمن بعدهم كذلك هاجسًا يحرك الأدب فيهم ، فقد كانت المرأة ركنًا من أركان المجتمع الجاهلي والإسلامي ، وأساسًا من أسسه ، وحجرًا مهمًا في بنائه الاقتصادي والاجتماعي ، كما أنّها مثلت إلهامًا عظيمًا للشعراء ، يبكون على أطلالها ، ويتشوقون لرؤيتها ، ويكتبون فيها أجمل الأشعار ، وطالما صورها بالعفيفة المصونة المتمنعة ، وافتخروا بحمايتها ، واعتبروها جوهرة نفيسة .

حمل العصر العباسي بذور التغيير والتجديد على المستويات كافة ، ممّا أدى إلى تطوّر الأذواق ، وكان من أثر ذلك التغيير ، ابتعاد القارئ العربي عن مطالعة المطولات الشعرية ، واستعاض عنها بالمقطوعات القصيرة التي تتلاءم مع ذوقه ، من حيث الشكل والمضمون ، وهكذا صار الشعراء يهتمون بالمقطوعات القصيرة ، وأخذ بعض كبار الأدباء والنقاد يجمعون من هذه القصائد ما يحلو لهم ، ورتّبوها حسب المعاني الشعرية لتشمل الأغراض المختلفة .

وأقدم هذه الاختيارات ما جمعه أبو تمام ، وعرف باسم "الحماسة"، وأشاد نقاد ومتخصّصون كثير بهذا الديوان ، فقد احتلّ مكانة عالية ، ونال من الفضل ما لم تتله غيره من الدواوين ، وقد روى التبريزي قول بعضهم : " إنّ أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره " \* وقد تكرر ذكر المرأة في صفحات ديوان الحماسة ، في محاولة لإظهار ملامح صورة المرأة وأنماطها المختلفة كما جاءت في طياته ، فالمرأة رمز الخصوبة والتجدد (1) في كلّ العصور والأزمان .

لذلك قد جاء هذا البحث ليضيء جوانب جديدة ، لم تقف عليها مثيلاتها من الدراسات السابقة حيث وقفت الباحثة عند بحثٍ مشابهة لمادة بحثها نُشر في مجلة التربية / جامعة الأزهر بعنوان : ( صورة المرأة في ديوان الحماسة لأبي تمام ) ، وقد جعلته ضمن قائمة المصادر والمراجع ، ، فقد أضافت هذه الدراسة نماذج شعرية جديدة ، وسلّطت الضوء على صور جديدة للمرأة في ديوان الحماسة ، لم يتطرق لها البحث السابق منها : صورة المرأة الزوجة ، والمرأة الغانية ، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ، لهذا جاءت الدراسة في مبحثين ، أولهما : مكانة المرأة في الأدب العربي ، وثانيهما : صورة المرأة في ديوان الحماسة ، حيث قسّم هذا المبحث إلى قسمين رئيسيين ، هما : صورة المرأة الإيجابية أو (المرغوبة) ، وصورة المرأة غير المرغوبة.

1

<sup>1</sup> ( 1 ) / المطر في الشعر الجاهلي / أبو سويلم ، أنور ، ص ( 120 )  
• \* كتاب الاختيارين / البغدادي ، أبو الحسن ، ص ( 18 )

**المبحث الأول : مكانة المرأة في الأدب العربي :**

احتلت المرأة مكانة متميزة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في العصر الجاهلي ، فالمرأة في الجاهلية لم تكن مهمة ، بل كان لها قدرها عندهم ، كما كان لها كثير من الحرية ، فكانت تملك المال وتتصرف فيه كما تشاء (2) وبما أن الشعر مرآة الحياة ، فإن الناظر إلى أشعار العرب ودواوينهم ، يجد أنها تعبر تعبيراً صادقاً عن صور المرأة بكافة أنماطها ، وتعبّر عن دورها في حياة العرب قديماً بوصفها الأم المنجبة ، أو المحبوبة المتمنعة ، أو بوصفها رمزاً للخصب والعطاء ، ويكفي أن نرى " تحوّل صورة المرأة على يد الشعراء الجاهلي من أسطورة مطلقة عند الشعوب القديمة إلى بديل الأسطورة ، أو صورة متخيلة لا تتعد عن الواقع في الوقت الذي ترتبط فيه بتلك الجذور الأسطورية القديمة " (3).

وقد حافظت المرأة على مكانتها وموقعها في المجتمع العربي من العصر الجاهلي ، الذي شهد شهرة بعض النساء اللواتي كان لهن شأن عظيم ، وليس ذلك \_ في رأي الباحثين \_ لعلو منزلة المرأة على الإجمال ، بل الفضل فيه للأمومة ، فلم تكن المرأة تبلغ منزلة العلو والرفعة إلا حين تصبح زوجاً أو أمّاً (4) .

وتحيط بصورة المرأة في الجاهلية هالة من الضبابية ، حيث تعمل على تحقير المرأة ، واعتبارها أداة في يد الرجل ، رهينة في بيته ، لا تملك من أمرها شيئاً ، ولكننا وفي هذه الدراسة المتواضعة ، نحاول أن نؤكد أن المرأة هي المرأة في كل زمان ومكان ؛ ولأن الشعر ديوان العرب ووسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي مع ذلك العصر البعيد ، كان لا بدّ من الرجوع إلى الشعر للتعرف على الصورة الحقيقية للمرأة في بلاد العرب .

والمتتبع لصورة المرأة العربية في شعر العصور اللاحقة للعصر الجاهلي ، يجد بأنّها حظيت بمكانة عظيمة " حيث لم تعد متاعاً يُباع ويشترى \_ عند البعض \_ بل كيان إنساني له حقوق وعليه واجبات (5) ، حيث شرفت وسادت غيرها من الرجال في كثير من المناصب ، وهو ما يتناقض مع الصورة السائدة ، حيث تحيط بصورة المرأة الجاهلية والإسلامية بعدها وإن كانت المرأة في الجاهلية قد عزّت وشرفت ، وسادت غيرها من الرجال ، إلا أنّها لم تسلم أحياناً من مثالب هذا العصر كالوآد والسبب وغيرها ، وهو ما جاء الإسلام وأزالها عنها ، وساواها مساواة حقيقية بغيرها من الرجال ، حتّى عُرفت كثير من النساء في ميادين كثيرة على مستوى الجزيرة العربية كلها ، فمع ظهور دين الحق والعدالة ازدادت قيمة المرأة في مجتمعها حيث أُضيف إلى شخصيتها سمات أخلاقية وحضارية جديدة ، تتناسب مع الدين الجديد ، حيث أعطاهما فوق ما تملكه من حقوق ، من تعاليم ومثل جديدة زادت من حقوقها المكتسبة ، كحَقّها في الميراث والتفقة ، وغيرها .

**المبحث الثاني : صورة المرأة في ديوان الحماسة :**

إذا كانت صورة المرأة والتشبيب بها ووصفها ، وذكر محاسنها من أهم ملامح الشعر العربي القديم ، الذي كان يبدأ بذكر الديار والذم ليصل الشاعر من خلالها إلى ذكر أهلها الطاعنين " ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصباية والشوق ليحلّ نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، ويستدعي به إصغاء الأسماع (6)، فإنّ المرأة تشكّل جزءاً غير بسيط من شعر

(3) / تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) / ضيف ، شوقي / ص ( 75 )

(4) / المرأة في الشعر الأموي \_ دراسة \_ تجور ، فاطمة / منشورات اتحاد الكتاب العرب / ص ( 11 )

(5) / المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام ، مهنا ، أحمد ، ماجستير ، ص ( 34 )

الحماسة ، التي انتقاها الشاعر أبو تمام ، وقد استطاع الشاعر من خلال مشاهداته وقراءاته لأمهات الكتب ، وبدائع الشعر العربي القديم في العصر الجاهلي وما جاء بعده من عصور إسلامية متتابعة ، أن ينتقي الأشعار التي تتناسب وأفكاره ، وتجاربه الذاتية ، ولم يبق سوى ممارسة لعبة الاسترجاع والذكرى والحلم كبدائل تستعيد النمذجة المكانية والزمانية والإنسانية في شبه تكامل شامل (7) وقد أعطت هذه النماذج المختارة صورة متكاملة مركبة ، تتسجم مع المضمون العام لديوان الحماسة ، القائم على ذكر كل ما يخص الحروب والسياف والرمح ، وهو ما عايشه أبو تمام ذاته ، حيث يبدأ الكتاب بباب الحماسة ، وهو أغزر أبوابه وأكثره شواهداً ، وقد جعل الكتاب على عشرة أبواب هي : الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأضياف والمديح ، والصفات ، والملح ، ومذمة النساء ، فكانت الصورة المنتقاة للمرأة مثلاً تتواتر عند الشعراء وتسير على نسق واحد ، مما يجعل صورة المرأة في الشعر أقرب ما تكون نسخاً مكررة من أصل واحد " (8)

" ونجد بأن صورة المرأة تواترت في حماسة أبي تمام ، مما يدل بشكل أو بآخر على أن كل ما قام أبو تمام باختياره في حماسته لم يأت عفواً ، كما ذهب إليه كثير من الدارسين ، فنجد أن هذه الصور قد ألحّت على ذهنه ، حتى ظهرت وشغلت حيزاً كبيراً من اختياراته .

وقد تعددت صورة المرأة في ديوان الحماسة ، إذ نجدها إنسانة تتصف بصفات إنسانية محضة كالحب والكراهية ، والكرم والحرص وغيرها ، ونجدها المرأة القوية التي تدفع زوجها للأخذ بثأر قبيلتها ، ونجدها المحبوبة المتمتعة المتعفة ، حيث لم يقف الشعراء الجاهليون عند جمال المرأة الجسدي فقط ، فقد فطنوا إلى جمالها المعنوي التي تتحلّى به من شيم وخصال كريمة (9) فصورة المرأة في ديوان الحماسة ما هي إلا ذلك النموذج الذي أراده أبو تمام للمرأة ، وحاول تطبيقه من خلال مختاراته الشعرية ، التي عدت أفضل من أشعاره .

2

ومن خلال تتبع بعض النماذج الموجودة في ديوان الحماسة ، تطالعنا صور متعددة للمرأة ، وقد قمت بتقسيمها إلى ما يلي :

المطلب الأول : الصورة الإيجابية ( المرغوبة ) للمرأة ، حيث تضمنت :

المرأة المحبوبة .

- (6) / المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام ، مهنا ، أحمد ، ماجستير ، ص ( 40 )
- (7) / مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الريحيات ، عمر / الخرشة ، أحمد ، ص (438)
- (8) / انظر المرجع السابق ، الريحيات ، عمر / الخرشة ، أحمد ، ص (438)
- (9) / تاريخ الأدب العربي ( العصر الجاهلي ) / ضيف ، شوقي / ص ( 74 )
- (10) / المطر في الشعر الجاهلي / أبو سويلم ، أنور ، ص ( 119 )
- (11) / انظر المرجع نفسه / ص ( 119 )
- (12) / انظر المرجع نفسه / ص ( 116 )

الرّوْجة .

المرأة الغانية .

المرأة النّادبة النّائحة .

المطلب الثّاني : الصّورة غير المرغوبة للمرأة ، حيثُ تضمّنت صورة واحدة فقط وهي صورة :  
المرأة العاذلة .

1.المطلب الأوّل : الصّورة الإيجابيّة ( المرغوبة ) للمرأة ، وفيما يلي تفصيل ما ذُكر :  
أ.المرأة المحبوبة :

عاش الإنسان العربيّ في بيئة صحراويّة قاحلة ، عانى فيها من مرارة التّرحال وعدم الاستقرار في هذه الصّحارى الشّاسعة ، ولم يقابل في هذه الصّحارى إلّا الوحوش الصّاريات ، والنباتات الشّوكيّة القاسية ، وما كان له في هذه القساوة إلّا تلك المرأة التي تمثّل له الحبّ والحنان ، والحضن الذّافئ الذي يحتضنه في برودة تلك الصّحراء وجفافها ، وكان السّعي وراء المرأة طلباً للحبّ والغزل (10) في مقدّمة المتع التي لم يجد لها العربيّ مكاناً للتعبير عنها في زحمة الالتزامات القبليّة إلّا في مقدمات قصائده (11) .

وقد تغنّى الشعراء بتلك المرأة التي كانت في مقام الرّوْجة والحبيبة التي شغفه حبّها ، وملكت عليه قلبه ، حتّى كتب بها القصائد الطّوال ، وتغنّى بوصف ملامحها الجسديّة الفاتنة ، والتقت في بعض أشعاره الأخرى إلى صفاتها المعنويّة ، حيث وصفها وصفاً عزريّاً بعيداً عن المكاشفة ، مكتفياً برسم صورة خياليّة للمحبوبة ، بعيداً عن الحس .

وإنّ جننا إلى البعد الأوّل في شعر المرأة المحبوبة في ديوان الحماسة نجد فيه المرأة وقد أزمعتُ الهجر والبعد والفرق ، حيث يطالعنا خيال المحبوبة المفارقة ، وحلم الشّاعر بلقائها لينال من قربها ما يرجو من حبّ ، ونجد بأنّ البعد والتّأني هو صفة ملازمه للحبّ العربيّ القديم ، لما في حياتهم من قلة استقرار وترحال ، حيث يقف الشّاعر على ديار محبوبته ، يتأمّل أطلالها ، ويتخيّلها تزهو في جنباتها ، ثمّ يعود إلى خيمته خائباً ، لم ينل ممّا رأى سوى الحسرة والألم ، " فالجاهليّ يبكي على فقد المرأة في أسي ، ولكنّه لا يستطيع تصوير العلاقة بينه وبينها في صورة مثاليّة ترتفع عن الحسّ (12)

ومنه ما قاله جعفر بن عُلبة الحارثي :

جَنَيْبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقٌ

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِيْنَ مُصْعَدٌ

إِلَيَّ وَيَسَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقٌ

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنِّي تَخَلَّصْتُ

فَلَمَّا تَوَلَّيْتُ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهُقُ (13)

أَلَمْتُ فَحَيِّتُ ثُمَّ قَامْتُ فَوَدَّعْتُ

فحضورها هنا حضور سحريّ ، تخطى حدود العقل ، فقد استطاعت المحبوبة بقوى خارقة أن تقتحم جدران السّجن ، وأن تلهي السّجان ؛ لتدخل على الشّاعر وتسامر ، وتصبّ عليه من الحبّ صبّاً ، ممّا يروي عطش روحه الظّامئة لوصولها .

ومنه قول البُعَيْثِ بنِ حُرَيْثٍ :

مَسِيرَةُ شَهْرِ لِلْبَرِيدِ الْمُذْبَذَبِ

خِيَالٌ لَأَمِّ السَّلْسَبِيلِ وَدُونَهَا

فَرَدَّتْ بِتَأْهِيلٍ وَسَهْلٍ وَمَرْحَبِ

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

وَلَا دُمَيْيَةَ وَلَا عَقِيلَةَ رَبْرَبِ

مَعَادَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَطَبِيَّةِ

كَمَالًا وَمِنْ طَيْبٍ عَلَى كُلِّ طَيْبٍ (14)

وَلَكِنَّهَا زَادَتْ عَلَى الْحُسْنِ كُفْلَهُ

فجد الشّاعر يعبر عن طيف محبوبته ، فالطّيف كأنّه حقيقة ، إذ جاءت إليه على مسافة شهر ، وحيّته وحيّاتها ، وجلس معها (15) ، فالشّاعر يربأ بمحبوبته أن تكون كالطّيبية الحسناء أو الصّورة المنقوشة ، فحسنها قد فاق كلّ المحاسن ، فكلّ شيء عنده دونها ، وقد زادت من طيبها على كلّ طيب طيباً (16) .

وقد وصف الشعراء جمال المرأة الجسدي ، حيثُ التقوا إلى لون العينين ، وشكل الخصر ، ولون البشرة ، فقد كانت هذه الصفات صفات المرأة المثال ، الذي يحلم بها العربي ، ومنه ما قاله بكر بن النطاح :

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ فَرَعِهَا      وَتَغِيْبُ فِيهِ وَهُوَ وَخْفٌ أَسْحَمُ  
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ      وَكَأَنَّهَ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ (17)

نجد أن الشاعر هنا قد التفت إلى شعر المحبوبة وطوله ، فإذا قامت سحبته ، وإذا أرسلته سترها فتغيب فيه ( 18 ) ، وقد شبهها لشدة بياضها واسوداد شعرها بالنهار الذي تخلله ظلام الليل ، ويغلب تكرار اللون الأبيض في الأوصاف الحسية للمرأة " فلا يخفى أيضاً تناسب هذا اللون مع لون الشعر الأسود ، كما أضاف له الشعراء صفة الإشراق والتعومة واللامسة (19) ، فنجد أن التشبيه هنا جاء موحياً معبراً عن حُسن هذه المحبوبة وجمالها ، الذي لم يستطع الشاعر الوقوف أمامه صامتاً ، بل جاد بأحلى الأشعار وأعذبها .<sup>3</sup>  
وقال آخر :

تَأَمَّلْتُهَا مُعْتَرَةً فَكَأَنَّهَا      رَأَيْتُ بِهَا مِنْ سُنَّةِ الْبَدْرِ مَطْلِعًا (20)

فقد وصف الشاعر محبوبته بالبدْر الطالع المنير ، الذي ملأ السماء حسناً وجمالاً وبهاء ، فوجه المحبوبة يضاهي البدر جمالاً وحسناً ونوراً ، ولا غريب على الشاعر الجاهلي أن يشبه محبوبته بالقمر ، وهو تشبيه مأخوذ من بيئة العرب الصحراوية التي لا يضيؤها إلا نجم متوهج .

وقد يعبر الشاعر عن هواه لمحبوبة تسكن شغاف قلبه ، فلا يستطيع التراجع عن هواها ، حتى وإن لاموه في حبها ، فقلبه معلق بها ، فليلمه من يلم ، ومن ذلك ما قيل على لسان أبي الشيبان الخزاعي :

وَقَفَ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فليس      مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ  
أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً      حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلُمْنِي اللَّوْمُ  
أَشْهَبْتُ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَحْبَبُهُمْ      إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ (21)

فهوى المحبوبة قد كبّله فما عاد قادراً على الحراك ، ورغم كل ما يلاقيه في حبها من لوم وعتاب ، فليس له بدّ منه .  
ومن الصور التي ترتبط ملياً بصورة المحبوبة ، صورة الهجر والبعد ، وهي حرفة المرأة في كل زمان ، فالمرأة العربية النفور محببة للنفس العربية ، ومن ذلك ما قاله الشاعر سُلمي بن ربيعة :

<sup>3</sup>(13) / ديوان الحماسة لأبي تمام ، التبريزي / م ( 1 ) ، ص ( 44-46 )

(14) / المرجع السابق / م ( 1 ) ، ص ( 268 - 269 )

(15) / مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الريحات ، عمر / الخرشة ، أحمد ، ص (448)

(16) / ديوان الحماسة لأبي تمام ، التبريزي / م ( 1 ) ، ص ( 269 )

(17) / المرجع نفسه / م ( 2 ) ، ص ( 775 )

(18) / المرجع نفسه / م ( 2 ) ، ص ( 776 )

(19) / مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الريحات ، عمر / الخرشة ، أحمد ، ص ( 446 )

(20) / انظر ديوان الحماسة للتبريزي / م ( 2 ) ، ص ( 776 )

(21) / المرجع نفسه / م ( 2 ) ، ص ( 820-821 )

(22) / المرجع نفسه / م ( 1 ) ، ص ( 392-393 )

(23) / المرجع نفسه / م ( 1 ) ، ص ( 392 )

(24) / المرجع نفسه / م ( 2 ) ، ص ( 810 )

حَلَّتْ تُمَاضِرُ غَرِيبَةً فَاحْتَلَّتْ      فَلَجَا وَأَهْلَكَ بِاللَّوَى فَالْحَلَّتْ  
وَكَأَنَّما فِي الْعَيْنِ حَبٌّ قَرْنَفَلٍ      أَوْ سُنْبِلًا كَحَلَّتْ بِهِ فأنْهَلَّتْ  
زَعَمَتْ تُمَاضِرُ أَنَّنِي إِمَّا أُمْتُ      يَسُدُّدُ أَيْبُونَهَا الْأَصَاغِرُ خَلَّتِي (22)

فتماضر هذه المحبوبة الحسنة قد حلت بعيدة منه ، حيث نزلت في الغربة واستوطنت فلجا (23) فيستذكر الشاعر معاناته بعيداً عنها ، ويجيش بالبكاء لدى مفارقتها ، والتحاقها بقومها ، بعد أن تأججت في نفسه مشاعر الحنين والشوق واللهافة لرؤيتها واللقاء بها مجدداً ، مجسماً لنا ذلك بانهمار دموعه وهي تصب من عين كأنها كحلت بحب قرنفل أو سنبل .  
ومما قيل في البعد والنأي قول الشاعر توبة بن الحمير :

يَقُولُ أَناسٌ لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا      بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النَّفوسَ يُضِيرُهَا  
أَلَيْسَ يُضِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تُكثِرَ الْبُكَاءَ      وَيُمنَعَنَّ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا  
يَطْوُلُ الْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ      وَيَوْمَ نَلْتَقِي فِيهِ قَاصِرٍ  
قَالُوا لَا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ      فَكَلْتُ لِصَاحِبِي فَمَنْ يَضِيرُ (24)

يصف الشاعر آلامه وأوجاعه بسبب نأي المحبوبة وبعدها ، وما يشعر به نتيجة لهذا ، ويصف لنا ردة فعل الناس ، وطلبهم منه أن لا يعير بعدها أية أهمية ، فبعدها بالنسبة لكل البشر شيء عادي ، يرجع لما اعتاد عليه العربي من الترحال المستمر ، والبحث الدؤوب عن مواطن الكأ والماء ، ولكن من يعاني من آلام النار ، ليس كمن يتخذها وسيلة للتدفئة ، فهو من يكابد ألم الهوى ، وأوجاع البعد ، فالبعد قدر لكل عاشق ، ولكن قلما يستطيع العاشق تجاوز آلامه .

وبهذا نرى أن صورة المرأة الحبيبة في ديوان الحماسة جاءت واضحة معبرة عن صورة المحبوبة في كل زمان ومكان ، ولا زال يتغنى الشعراء بالمعشوقة تغنيهم بها في الجاهلية ، من ذكرهم لصفات الجسدية ، من طول فارح ، وبشرة بيضاء نقية مشرقة ، وشعر أسود كالليل ، ويتغنون بعفافها وتمنعها بعيداً عن ذكر صفاتها الجسدية صراحة .

والملاحظ أن المرأة المقصودة بالاهتمام دائماً عند الشعراء قديمهم وحديثهم ، هي المحبوبة ، حيث يحاول الشاعر الجاهلي إقصاء ابنته مثلاً ويرجع ذلك إلى " التكوين النفسي والتحكم العرقي فالعربي ينأى عن ذكر المرأة غالباً ، إلا المحبوبة " (25) على الرغم من وجود بعض الشواهد الشعرية التي يذكر الشاعر فيها ابنته ويتغنى بها ، مثال ذلك ما جاء على لسان الشاعر سلامة بن جندل حين قال :

تقول ابنتي إن انطلاقك واحداً      إلى الزرع يوماً تاركي لأبا لي (26)

ب . الزوجة : لم يقتصر اهتمام الشعراء بالمرأة بجانبها المادي الجسدي ، فقد انتقوا إلى ما تحمله المرأة من جمال روحي ، وأخلاق وشيم كريمة ، فالمرأة العربية امرأة تحترم إنسانيتها ، فقد كانت تدير شؤون منزلها كأي امرأة ، حتى وإن كانت سلبية حسب أو نسب ، " وقد حظيت الزوجة في الشعر الجاهلي بمكانة بارزة ، ربما تلي مكانة المرأة المحبوبة (27) ونجد أن الشعر الجاهلي قد رسم لنا صورة متكاملة واضحة المعالم ، أظهر فيها صفات المرأة العربية بوصفها شريكاً للرجل ، وداعماً أساسياً له ، تشاطره همومه وأحزانه ، وتقرح لفرحه ، وتقف خلفه ليرتقي ويؤدي دوره المنوط به على أكمل وجه .

ومن صور الزوجة في ديوان الحماسة ما ورد على لسان مرة بن محكان حيث قال :

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومِي غَيْرِ صَاغِرَةٍ      ضَمِّي إِلَيْكَ رِجَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا  
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةِ      لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظُلْمَائِهَا الطُّنْبَا (28)

فمن أهم شيم العربي إكرامه للضيف في حله وترحاله ، والزوجة الصالحة هي من تعين زوجها على الكرم وحسن الضيافة ، لذلك نرى الشاعر يطلب من زوجته أن تكرم ضيوفه ، وتستقبلهم في بيتها ، وتعقد عليهم من عنايتها ، فقد حلوا بأرضهم في ليلة باردة ظلماً وعلى هذه الزوجة إرضاء زوجها وإطاعته ، وهذه من شيم المرأة العربية .  
ويقول شاعر آخر :

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي إِلَى أُمِّ عَاصِمٍ      لِأَضْرِبَهَا إِنِّي إِذْنٌ لَجْهُولُ

4

لَكَ الْبَيْتُ إِلَّا فَيَنَّةٌ تُحْسِنِينَهَا      إِذَا حَانَ مِنْ صَيْفٍ عَلَيَّ نُزُولُ (29)

ونجد أن هذه الصورة لا تختلف عن سابقتها في احترام المرأة وكيانها ، بوصفها ربة البيت وصاحبة السلطة فيه ، فهي شقيقة الرجل ، ومساوية له في المكانة ، فعلى الرغم من قدرة الرجل وسيادته على البيت ، فإنه يترك لزوجه حرية التصرف في البيت والعناية به ، إلا وقت قدوم الضيوف ، فهو المكلف الأول بإكرامهم ، وتقديم الخدمة لهم .  
ودائماً ما كان يدعو الشاعر العربي زوجته لتحته على الكرم وحسن الضيافة ، لما لها من طيب الذكر عند الخلق جميعاً في حال حياته ، وبعد وفاته ، ومن ذلك ما قاله عمرو بن الأهتم لزوجه أم هيثم :

دَرِينِي فَإِنَّ الشَّحَّ يَا أُمَّ هَيْثِمٍ      لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقٍ  
دَرِينِي وَخَطِي فِي هَوَايَ فَإِنِّي      عَلَى الْحَسَبِ الرِّفِيعِ شَفِيقٍ  
دَرِينِي فَإِنِّي دُو فَعَالٍ تُهْمَنِي      نَوَائِبُ يَغْشَى رُزُؤَهَا وَحُقُوقُ (30)

وكأنّي بالشاعر ينكر على زوجته حته على البخل ، وغلّ اليد إلى العنق ، والبعد عن الإسراف ، فهو فارس عربي من شيمه الكرم والجد ، فإن الشح يزئ للإنسان العذر الكاذب والعلل الباطلة ، فكأنه يسرق كل أخلاقه الحميدة (31) .  
إن رقي مكانة المرأة الزوجة في الجاهلية جعلت كثيراً من الشعراء يفتتحون قصائدهم بذكرها ويتوددون إليها ، ويحاولون استرضاءها بوصفها في حلها وترحالها ، ومن ذلك ما جاء من خطاب حاتم الطائي لزوجه ماوية بنت عبدالله ، حين قال :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ      وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ  
إِذَا مَا صَنَعْتَ الرَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ      أَكْبِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي (32)

ومن المعروف أن حاتم الطائي ، كان مثالاً للكرم العربي الذي لم يجاريه فيه أحد ، حتى وأنه يخاطب زوجته بضرورة إيجاد أحد ليشركه الطعام ، فما كان معتاداً على تناول الراد وحده ، وبذلك نجد أن صورة المرأة المشاركة لزوجها في تفاصيل يومه ، وحتى في بعض صفاته المعنوية كالكرم والشجاعة والمروءة ، كانت حاضرة جداً في ديوان الحماسة ، وهذا ما يدل على اهتمام العربي بأخلاق العرب ، وإشراكه لزوجه فيها .

وعلى عادة الزوجة في كل الأزمنة ، كثيراً ما كانت تحت زوجها على الاعتدال في الإنفاق ، والبعد عن الإسراف الذي يولد الفقر والفاقة ، فالمرأة تخشى على نفسها وعيالها من إسراف زوجها ، ومبالغته في إكرام الضيوف ، وإغاثة الملهوف ، لذلك كثر الشعر الذي يتحدث عن محاولات الزوجة ثني زوجها عن الكرم .

ومن ذلك ما قاله عبد الله بن الحشر الجعدي :

<sup>4</sup> (25) / مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الريجات ، عمر / الخرشنة ، أحمد ، ص (444)

(26) / شرح ابن عقيل / ج (1) ، ص (644)

(27) / المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام ، مهنا ، أحمد ، ماجستير ، ص (103)

(28) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي ، م (2) / ص (927)



5  
أَلَا بَكَرَتْ تَلُومُكَ أَمْ سَلِمَ  
وَمَا بَدَّلِي تِلَادِي دُونَ عِزِّي  
وغير اللوم أدنى للسداد  
بإسرافٍ ، أميمٌ ولا فسادٍ (33)

فعلى الزغم من مكانة المرأة العربية عند زوجها ، إلا أنه لم يكن يصغي إلى قولها في تحريضه على البخل ، والبعد عن الإسراف ، فقد تعود عادةً ، وكل امرئ سيجري على عادته في الكرم .  
ومن ذلك أيضاً قول سودة اليربوعي :

أَلَا بَكَرَتْ مَيِّ عَلِيٍّ تَلُومُنِي  
دَرِينِي فَإِنَّ النُّخْلَ لَا يُخْلَدُ الْفَتَى  
تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ  
وَلَا يُهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهُ (34)

فالشاعر الجاهلي دائم البحث عن حسن الصيت والذكر ، فلا يلتفت لعذل عرسه .  
والمتمتعن في بعض قصائد شعراء العرب في الجاهلية وما بعدها ، يجد تحولاً كبيراً في نظرة المرأة لحسن الضيافة ، فبعد أن كانت تحض زوجها على كف اليد وغلها إلى العنق ، أصبحت هي من تحضه على الكرم والجود وحسن الاستقبال وإعداد الزاد لطارق الليل ، ومن ذلك ما قالته زوجة فحطان العنبري في ردها عليه ببذله وجوده :

خَلَفْتُ يَمِيناً يَا ابْنَ فُحْطَانَ بِالَّذِي  
فَاعَطِ وَلَا تَبْخُلْ لِمَنْ جَاءَ طَالِباً  
تَكْفَلُ بِالْأَرْزَاقِ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ  
فَعِنْدِي لَهَا حُطْمٌ وَقَدْ زَاخَتْ الْعَلَلِ (35)

فرب السماوات والأرض ، رازق الحوت في البحر هو المتكفل بأرزاق الخلق ، فلا خوف على عباد ربهم الله ، فالزوجة تحث زوجها على العطاء وبسط الكف ، فما عنده من خير هو من الله الرزاق ، الذي يضاعف للمعطي ، وكأنها تقول انفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا .

فالزوجة كانت حبيبة ، وأم عيال ، وشريكة حياة ، تقول فيسمع قولها ، وتشير فينظر في رأيها ، وتجاوز زوجها بحرية ، فيحاورها حواراً هادئاً فيه من الود والمحبة ما فيه ، وهذا ينم عن مكانة مرموقة للمرأة في مجتمعها ، بوصفها ركناً أساسياً من أركان المجتمع العربي قديماً .

ج. المرأة الغانية : يُقال إن الغانية هي التي يستغني زوجها بجمالها عن النظر إلى غيرها ، كما يُقال : الغواني جمع غانية ، وهي التي تستغني بزوجها عن الرجال ، وقيل : هي التي تغنى بمحاسنها عن التزين بالحلي ، وقال أبو عبيدة : هي المتروجة (36) .  
وقد أكثر الشعراء من وصف الغواني ، حتى لقب أحدهم \_ مسلم بن الوليد \_ بصريع الغواني ، مما يدل على أن صاحب الشعر كان متيماً يغيره الجمال بالفتنة .. والمرأة (37) .

ومن ذلك ما جاء على لسان المساور بن هند بن زهير ، حيث قال :

وَأَرَى الْغَوَانِيَّ بَعْدَ مَا وَاجَهْتَنِي  
وَرَأَيْتُ رَأْسِي صَارَ وَجْهًا كُلَّهُ  
أَعْرَضَتْ ثَمَّتْ قُلْنَ شَيْخَ أَعُورُ  
إِلَّا قَفَايَ وَلِحِيَّةً مَا تُضْفَرُ

(29) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام التبريزي ، / م ( 2 ) ، ص ( 933 )

(30) / المرجع نفسه / م ( 2 ) ، ص ( 973 )

(31) / المرجع نفسه / م ( 2 ) ، ص ( 973 )

(32) / المرجع نفسه / م ( 2 ) ، ص ( 981 )

(33) / المرجع نفسه / م ( 2 ) ، ص ( 1017 )

وَرَأَيْتَ شَيْخًا قَدْ تَحَنَّى ظَهْرَهُ      يَمِشِي فَيَقْعَسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْتُرُ (38)<sup>6</sup>

نرى الشاعر يصف لنا شيخوخته ، وكيف أن الحسناوات من الغواني ، لم يعد لهن رغبة به ، فقد انحنى ظهره ، وشاب شعره حتى أصبح شيخاً أعوراً ، وهذه الغانية بما لديها من حُسن وجمال صارخ ، لن تلتفت لشيخ أعور أحذب الظهر .  
ومنه ما جاء على لسان باعث بن صريم بن يشكر حيث قال في معرض قصيدته :

وَحَمَارٌ غَانِيَةٌ عَقَدَتْ بِرَأْسِهَا      أُصْلًا وَكَانَ مُنْشَرًّا بِشِمَالِهَا

وَعَقِيلَةٌ يَسْعَى عَلَيْهَا قَيْمٌ      مُتَغَطَّرِسٌ أَبْدَيْتَ عَن خَلْأِهَا (39)

ونجد الشاعر يخبرنا بقصة هذه الحسنة التي سببت ، فذهب بكل شجاعة وبسالة لتحريرها فلما رآته اطمأنت وكشفت خمار رأسها ، والمرأة الحرة لا تنزع خمارها إلا في حال حزن شديد أو حرب تخشى فيها على نفسها من الأسر ، فقد وصف باعث بن صريم هذه الغانية التي نزعت خمارها فبرزت من خدرها حاسرة الرأس، منشورة الخمار .

وبعدها وصف لنا كريمة الحيّ وزوجها وكيف قامت بالهرب عند بدء الغارة ، حتى أنها رفعت عن ساقها فظهر خلخالها ، وكل ذلك من شدة ما يواجهن من الخوف والرّهبة وقت الغارة إذ تكون المرأة مشدوهة مضطربة الفؤاد ، فلا تلتفت لنفسها حاسرة أم مغطاة الرأس (40) فتخرج من شدة خوفها دون الالتفات لشيء فتتساوى بذلك الحرة بالأمة ، وكريمة الأصل بالخدم .

د . المرأة النائحة النادبة : إن من أهم أبواب ديوان الحماسة باب المراثي ، حيث احتل شعر الرثاء مكانة مميزة من مختاراته ، وقد ظهرت صورة المرأة جليلة واضحة في هذا الجانب لما تتمتع به من إحساس مرهف وطبيعة خاصة تميزها عن شقيقها الرجل ، فتجعلها عرضة للحزن والجزع على الميت أو المفقود ، فالمرأة أسرع إلى إظهار الحزن والتعبير عنه من الرجل ؛ لأنها بذلك تكون قد فقدت سند لها مدافع عنها ، وقد عملت بعض الناس في الجاهلية بالنياحة إلى جانب غيرها من المهن الأخرى (41) .

من أجل ذلك ؛ نرى الموت في الاستعمالات الشعرية أعظم بواعث الحزن ، ونجده شديد الاقتران بالبكاء ، الذي هو مظهر الحزن الأكبر ، حتى إنهم إذا انبعثت ذكرياتهم الحزينة لمرأى بعض الجمادات ، وأفاضوا من حزنهم عليه ، فتخيلوه حزينا ، وغرقوا في هذا الخيال ، فنزلوه منزلة العاقل ، وجعلوه باكيا مبالغة في التعبير عن الحزن .

وقد برعت المرأة في شعر الرثاء ، وأجادت فيه حتى فاقت الكثير من الشعراء ، ومن الطبيعي أن تتفوق النساء على الرجال في نذب الموتى والنواح عليهم ، لم تمتاز به المرأة من حس دقيق وشعور رقيق (42) .

7

<sup>6</sup>(34) // شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، التبريزي / م ( 2 ) ، ص ( 1013 )

(35) / المرجع نفسه / م ( 2 ) ، ص ( 937 )

(36) / المرجع نفسه / م ( 1 ) ، ص ( 323 )

(37) / قصائد العشق والجمال في الشعر العربي ، الطباع ، عمر ، ط ( 1 ) ، ص ( 131 )

(38) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي ، م ( 1 ) / ص ( 323 )

<sup>7</sup>(39) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، التبريزي / م ( 1 ) / ص ( 385 )

(40) / مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الرياحات ، عمر / الخرشة ، أحمد ، ص ( 456 )

(41) / انظر المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام ، مهنا ، أحمد ، ماجستير ، ص ( 27 )

(42) / فن الرثاء / ضيف ، شوقي ، ص ( 8 ) / ط : دار المعارف المصرية

ومن صور المرأة النّادبة النّائحة التي ظهرت في ديوان الحماسة ما جاء على لسان دريد بن الصّمة :

تَقُولُ : أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ ؟ وَوَدَّ أَرَى  
مَكَانَ الْبُكَاءِ لَكُنْ بُنَيْتُ عَلَى الصَّبْرِ  
فَقَلْتُ أَعْبَدَ اللَّهَ أَبْكِي أُمَّ الْوَدِيِّ  
لَهُ الْجَدْتُ الْأَعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرِ  
وَعَبْدَ يَغُوثَ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ  
وَعَزَّ الْمُصَابُ حَثْوُ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ (43)

فالمرأة دائماً كانت محرّك النّار في قلوب الرّجال ، تحثّهم على النّيل من القاتل ، وبحسّها المرهف ، تدعو غيرها من الرّجال مشاركتها في البكاء ، فعبد الله هو خير من بكته العين ، إلّا أنّ البكاء وحده لا يشفي الغليل ، ولا يريح القلب ، ولا يُعيد التّوازن الرّوحي للمرأة إلّا قتل القاتل والأخذ بالنّار ، وبعد ذلك تعلن الحداد وتلبس السّواد حزناً على فقيدتها الغالي ، وتعدّ المراثي التي قيلت في عبد الله شقيق دريد من أشهر الأشعار ، وأكثرها تعبيراً عن الفقد والجزع .  
ومن ذلك أيضاً :

لا تهلكي جزعاً فإنّي واثقٌ برماحنا وعواقب الأيام (44)

يوجّه الشّاعر خطابه للمرأة طالباً منها أن لا تجزع أو تندب قتل أحبائها ، فرماح قومها قادرة على أخذ الثّار ، الّذي يشفي القلب ويقرّ العين .

فالمرأة في الجاهليّة هي التي تعبّر عن ألم القبيلة وحزنها ، وهي التي تثير الحميّة ، وتطالب رجال قبيلتها بالنّار ، وذلك بقيامها بالنّدب والنّواح ، ولم يكن النّساء يندبن موتاهنّ يوماً أو أيّاماً ، بل كنّ يطلن ذلك إلى سنين معدودات ، ويقال أنّهنّ كنّ يحلقن شعورهنّ ويلطمن خدودهنّ بأيديهنّ (45)

وقالت امرأة ، ويقال أنّها أم الشّاعر تأبّط شرّاً ، وهي تندب ابنها وتبكيه وتعزّي نفسها برجوعه :

وَالْمَنَايَا رَصَدٌ      لِالْفَتَى حَيْثُ سَأَكَ  
أَيُّ شَيْءٍ حَسَنٍ      لِالْفَتَى لَمْ يَكُنْ لَكَ  
كُلُّ شَيْءٍ قَائِلٌ      حَيْنَ تَلَقَى أَجْلَكَ  
إِنَّ أَمْرًا فَادِحًا      عَنْ جَوَابِي شَعْلَكَ (46)

8

وقالت امرأة من كندة :<sup>9</sup>

<sup>8</sup>(43) / شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، ط ( 1 ) ، ص ( 535 - 536 )

(44) / المرجع نفسه / ط ( 1 ) / ص ( 554 )

(45) / الرّثاء في الشّعور الجاهلي والإسلامي / حسين ، عذرا ، مجلّة الأستاذ ، م ( 1 ) العدد ( 208 ) ، ص ( 144 )

(46) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي ، م ( 1 ) ، ص ( 580 )

<sup>9</sup>(47) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي / ص ( 615 )

(48) / انظر مجلّة التّربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الريحات ، عمر / الخرشة ، أحمد ، ص ( 451 )

(49) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي ، م ( 1 ) / ص ( 577 - 578 )

لا تُخْبِرُوا النَّاسَ إِلَّا أَنْ سَيَدَّكُمْ      أَسْلَمْتُ نَمُوهُ وَلَوْ قَاتَلْتُمْ امْتَنَعَ

أُنْعَى قَتَى لَمْ تُذَرَّ الشَّمْسُ طَالِعَةً      يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا (47)

فمن أبلغ أشعار البكاء والتدب ، رثاء الأبناء فعاطفة الأمومة فوق كل العواطف ، فالأم هي من تحوط الطفل بعنايتها حتى يشب عوده ، فإن شب رامته فارسًا شجاعًا يحامي عن شرف قبيلته وعرضه ، فإذا قُتل دون ذلك كان حزنها عليه شديدًا ، " فالأم إذا تياس من الصبر ، تود لو أنها كانت الفداء لابنها (48) . وقد تعددت صور التادبات في الشعر العربي ، فالرثاء والتدب بصفة عامة لا يصدر إلا عن نفس تعاني من مرارة الحزن والأسى والشعور بفداحة الفقد ، والنساء بصفة عامة قلما يرثين أو يندبن غير إخوانهن وأبنائهن وأزواجهن ، مدفوعين بالشعور الإنساني الطبيعي بالأسى والفقد ، لذا كان لرثائهن وقع كبير في النفس ، ومن ذلك رثاء فاطمة بنت الأحجم الخزاعية زوجها حين قالت :

يا عين بُكِّي عِنْدَ كُلِّ صَبَاحٍ      جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجَزَاحِ

قَد كُنْتُ لِي جَبَلًا أَلُوذُ بِظَلِّهِ      فَتَرَكْتَنِي أَضْحَى بِأَجْرِدِ صَاحِ

فَالْيَوْمِ أَخْضَعُ لِلدَّلِيلِ وَأَنْتِي      مِنْهُ وَأَدْفَعُ ظَلْمِي بِالزَّاحِ (49)

ونرى فيما قالته الشاعرة فقد المرأة لسندها وعضيدها ، ووحشتها في غيابه ، فاحتياج المرأة للرجل احتياج فطري ، مدعوم بما أودعه الله تعالى من حاجات متبادلة عند كلا الطرفين ، فكلاهما مكمل للآخر فشعرها يدل على مدى حبها وتعلقها به ، وأن ما ستعانيه في غيابه من أسى وحزن أكبر بكثير من حزنها الآني عليه ، فالمرأة الجاهلية كانت تكن لزوجها كل المحبة ، وتعتبره ملاذها وملجأها .

ومن أجمل أنواع الرثاء وأكثره عاطفة وصدقًا رثاء الابنة لأبيها ، لما فيه من حب عظيم وفقد واسع ، ونلاحظ في رثاء الجاهلية النساء كن خير من يرثي ؛ لرقّة شعورهن ورهافة إحساسهن (50) ، لهذا نجد شاعرة ترثي والدها قائلة :

أَلَا فاقصري من دمع عينيكي لن ترثي      أبًا مثله تنمي إليه المفخر

وقد علم الأقوام أن بتاتيه      صوادق إذ يتدبته وقواصر (51)

فكل فتاة بأبيها معجبة ، فإعجابها به لا يقتصر في حال حياته ، وإنما يبقى الفخر موصولاً به بعد وفاته ، فنجد الابنة تبكي أباه وترثيه بأرق العبارات ، وتعبّر عن عاطفتها الجياشة نتيجة فقدتها له ، وتبكيه بكاءً حاراً ، فوالدها صاحب المفخر والمزاي ، ورجل المواقف العظيمة فبفقدانها له فقدت الأمان . (52)

ونرى المرأة الناذبة ، وهي ترثي وتتدب أباها ، فتبكيه المرأة بكاءً شديداً ، وتستدعي في شعرها كل خصاله وصفاته وفروسيته ، حيث تقول زينب بنت الطرية ترثي أباها يزيد :

فتى قد قد السيف لا متضائل      ولا زهل لبائته وأباجله

إذا نزل الأضياف كان عدواً      على الحي حتى تستقيّل مزاجله

مضى وورثناه دريس مفاضة      وأبيض هندية طويلاً حمائله (53)

(50) / الرثاء في الشعر الجاهلي والإسلامي / حسين ، عذراء ، مجلة الأستاذ ، م ( 1 ) العدد ( 208 ) ، ص ( 145 )

(51) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي / م ( 1 ) / ص ( 645 )

(52) / انظر مجلة التربية ( صورة المرأة في ديوان الحماسة ) / الربيحات ، الخرشة / ص ( 451 )

تسترسلُ الشاعرة برثاء أخيها الميت ، وذكر مناقبه وخصاله ، فذكره الحسن وصيته الطيب لا زال قائماً حتى بعد موته ، فعلى الرغم من ضالة جسده ، ورقة عظمه ، فهو جواد كريم ، حتى أنها وصفته بسوء الخلق " والتشدد في الأمر والنهي ، حتى تنصب المراجل وتهبأ المطاعم للصيفان ، ثم يعود إلى خلقه الأول (54) ، وقد أنفق جلّ ماله فيما يكسبه حمداً بين الناس ، وهذا إرثه ، فلم يكن له إرثٌ إلا ما ذكر من السلاح .

ولم يقتصر بكاء المرأة وتوجعها على رفيقها الرجل الذي غيبه الثرى ، أو والدها الغالي الذي غادر الدنيا إلى الآخرة ، بل نعت وندبت بعيرها وناقته ، وأنشدت أشعاراً في سبيلها ، وأنشد الشعراء أشعاراً قيلت فيها ، ومنها قول الأسود بن زمعة بن عبد المطلب:

أَتَبْكِي أَنْ يَضَلَّ لَهَا بَعِيرٌ      وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ

فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكُنْ      عَلَى بَدْرِ تَقَاصِرَتِ الْجَدُودُ

أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ      وَلَوْلَا يَوْمَ بَدْرِ لَمْ يَسُودُوا (55)

حيث يُقال إن قريش كانت قد حرمت البكاء على قتلاها يوم بدر ، حتى لا يشمت بهم محمد وأصحابه ، فلا يبكو قتلاهم حتى يأخذوا بثأرهم من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم تخالف قريش ما ذهب إليه كبرؤها ، فسمع الشاعر امرأة تنوح وتبكي ناشدة بعيرها ، فكان هذا البعير أعلى وأعظم مكانة من سادات قريش الذين ذبحوا وقتلوا في بدر ، فأنشد الشعر هذه الأبيات تعريضاً بهذه المرأة وبكائها ، والحديث عن قتلى بدر .

فانظر إلى ما تمتلكه المرأة من رهافة حس ، تعبر من خلالها عن مشاعر تجاه الحوادث والكوارث الدنيوية ، وكيف يتلقاها قلب المرأة ، ذلك القلب الرقيق .

ونخلص مما سبق إلى أن المرأة في رثاء أقاربها تبدأ بالندب والنواح على الميت ، ثم ينتهي الأمر إلى العزاء والتأبين ، أما في بكاء ابنها وورثائه تلتزم الندب والنواح ، وهو أكثر ألوان الرثاء حزناً وتأثيراً في النفس . إن المرأة بصفة عامة أكثر جزعاً من الرجل ، وأشدّ حزناً ، لذا فشعر المرأة في هذا الجانب أوقع أثراً لما يسوده من بكاء ونحيب وتوجع .

وقد عدّ البحث صورة المرأة الناذبة صورة مرغوبة على الرغم من وجود التجع والمبالغة في البكاء على الموتى والقتلى ممن فارقوا الحياة في بعض النماذج الشعرية ، فلم تقتصر المرأة العربية في شعرها هذا على الرثاء وذكر مناقب الميت ، بل وصل بها الأمر إلى الاستمرار بالبكاء لحين الثأر .

2.المطلب الثاني : الصورة غير المرغوبة للمرأة ، حيث تضمنت :

أ . المرأة العاذلة : يرتبط مفهوم العاذلة باللوم والعتاب ، وترد صيغ كثيرة مشتقة من مادة (عَدَل) ، وترمز هذه الصيغ والتسميات كلها إلى صوت الطرف الآخر الذي يصارعه الشاعر لتجسيد رؤيته في الحياة ، ويتعلق موضوع العاذلة بموقفها من بعض القضايا الاجتماعية العامة ، مثل الإفراط في الجود والمغامرات الحربية والحياة اللاهية ، أو بعض القضايا الحياتية الخاصة المتعلقة بالشيب والشيوخة والفقر وبعض المشكلات الأسرية ، " فقد ارتبطت فكرة العاذلة بفكرة الجزع من الموت وانتهاء الحياة في القصائد التي تلوم فيها العاذلة الشاعر على الإسراف في تبديد المال ، وعلى المخاطرة في النفس (56) . فمشكلة الموت الذي أحسه العربي في العصر الجاهلي كان قطب الرحي في هذه الظاهرة (57) فهاجس الخلود هو ما حدا الشاعر الجاهلي إلى تجسيد هذه الفكرة في شعره ، ولأن للمرأة طبيعتها الخاصة بها ، المتوافقة مع تركيبها الفسيولوجي المفطورة عليه (58) ، انعكست هذه الطبيعة على منظومة القيم الخاصة بها ، مما دعاها لتشكّل حواراً بينها وبين الشاعر تعذله به ، حيث يبدو في الغالب

أنّ العاذلة هي زوج الشاعر ، فيشكّل هذا الحوار المحور الأساس لبناء القصيدة ، وتكون المرأة هي المحرك له ، بخوفها على مال زوجها ونفسه ، ولومها المستمر له .<sup>10</sup>

ومن صور العذل ما ورد على لسان رجل من بني جناب حَيّ من بني القَيْن ، حيث قال :

لا تَعْدِلِي فِي حُنْدَجٍ إِنْ حُنْدَجًا      وَلَيْثَ عَفْرَيْنٍ لَدِي سَوَاءُ  
حَمِيْتُ عَلَى الْعَهَّارِ أَطَهَّارَ أُمَّه      وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمَدْعِينِ غُتَاءُ (59)

فقد تعذّل المرأة زوجها على مبالغته في الاهتمام بأحد أبنائه ، وهذا ما حدث مع شاعرنا هنا ، إذ قامت زوجته بعذله على اهتمامه بولیده الصّغير ، وبرر لها هذا الاهتمام بأنّ حندج على صغر سنّه ، فتى مكتمل الرّجولة ، يضاهي الشّجّان قوّة وبأساً . (60) ومن صور عدّل المرأة زوجها إسرافه الشّدید وكرمه المبالغ فيه ، حيثُ نجد تفاوتاً كبيراً في نظرة المرأة والرّجل للمال ، وبالتالي تتأفر نظرة كل منهما للكرم والإنفاق (61) ، فنظرته أن هذا المال هو سبب ليزيع صيته بين الناس ، ولكنّ المرأة ترى أنّ هذا المال ما هو إلّا حقّ لها ولأبنائها ، لذلك دائماً ما تلومه على كرمه وإسرافه ، ويقابلها بتبرير إنفاقه هذا ، ومن ذلك قول المنّخل اليشكري:

إِنْ كُنْتُ عَادِلْتِي فَيَسِيرِي      نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تُحُورِي  
لَا تَسْأَلِي عَن جِلِّ مَا      لِي وَاَنْظُرِي كَرَمِي وَخَيْرِي (62)

وقد يصل الأمر بالمرأة في بعض الأحيان ، إلى حتّ زوجها على البخل ، وجعل اليد مغلولة إلى العنق ، واعتبار البخل حمداً لصاحبه (63) ، يقول يزيد بن الجهم الهلالي :

لَقَدْ أَمَرْتُ بِالْبُخْلِ أُمَّ مُحَمَّدٍ      فَقُلْتُ لَهَا : حُنِّي عَلَى الْبُخْلِ أَحْمَدًا  
فَإِنِّي أَمْرٌ عَوْدْتُ نَفْسِي عَادَةً      وَكُلُّ أَمْرٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا (64)

إنّ المرأة اللائمة قد انبرت تقاوم فضيلة الكرم التي ألفها الشاعر ، وصارت طبعاً من طباعه ، فهي تصدّه عن المضى في السخاء ، وتمنعه من تقديم العطاء والبذل ، وتعدّد ذلك إسرافاً وطيشاً ، بل هو هلاك للمال (65) . فكان ردّ الشاعر مشابها لما اعتاده من كرم اليد وجودها ، فما اعتاد عليه من الجود ، لن يزول بعذل زوجها ، وتحريضها له على البخل . ونجد أن صور العاذلة في الشعر العربيّ قد تكررت بأشكال متشابهة ، على نحو يوحي بتشابه النساء في نظرتهنّ وطبيعتهنّ في كل الأزمنة والأمكنة .

<sup>10</sup>(56) / العاذلة في الشعر الجاهلي ، السنجلوي ، إبراهيم / المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، ص ( 35 )  
(57) / العاذلة في الشعر العربيّ قبل الإسلام / دراسة ، محمد ، عبدالحسين / زايد ، مولود ، مجلة ميسان للدراسات/ص ( 36 )  
(58) / مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الريحيات ، عمر / الخرشة ، أحمد ، ص ( 452 )  
(59) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي ، م (1) ، ص ( 199 - 200 )  
(60) / انظر مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الريحيات / الخرشة ، ص ( 454 )  
(61) / مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الريحيات ، عمر / الخرشة ، أحمد ، ص ( 453 )  
(62) / شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، م (1) ، ص ( 379 )  
(63) / انظر مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الريحيات ، عمر / الخرشة ، أحمد / ص ( 454 )  
(64) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي ، م ( 2 ) ، ص ( 1012 )  
(65) / العاذلة في الشعر الجاهلي ، السنجلوي ، إبراهيم / المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، ص ( 42 )

ولا تقتصرُ العاذلة في لومها على إسرافه المال ، فهي تلومه أيضًا على تطرفه في الشجاعة ، ومن لوم المرأة لزوجها تهوّه في المعارك ، وإلقائه بنفسه إلى التهلكة ، ما قاله قتادة بن مسلمة الحنفي :

بكرت عليّ من السّفاه تلومني      سفهاً تعجزُ بعلمها وتلومُ  
لما رأنتني قد رزئتُ فوارسي      وبدت بجسمي نهكةً وكلومُ  
ما كنتُ أول من أصاب بنكبةٍ      دهرٌ وحيّ باسلونَ صميمُ (66)

ف نجد الشاعر يصف لنا لوم زوجته له ، بسبب ما آل إليه بعد خسارة في المعركة ، فيردّ عليها بأسلوب حواريّ شيق يعبر لها عن أن ما أصابه لم يكن الأول ، وأن هذه النكبات تصيب البشر كافةً ، فلا داعي للومه وعذله وإنّ الخلود الذي يبحث عنه الشاعر هو خلود الذكر الطيّب ، والذي يحققه عبر المخاطرة ، وكأنّه يحقّق الحياة عبر الموت ، ونجد الشاعر لا يلتفت لتحذيرات العاذلة ، بسبب خوفها عليه من الموت ، وإنّما يبرر مسلكه بحتمية الموت ، وسعيه لاكتساب حسن الذكر (67) .

وذكر المدائني أنّ السّفاح أمر بقتل رجل من بني أمية فتبعته زوجته وهو يفرّق أمواله بين الناس (68) ، فأخذ يواجهها محتجاً بما استقرّ في ذهنه من قناعة عميقة بحتمية الموت والفناء ، فما سبقي للإنسان بعد موته سوى الذكر الحسن ، فهو يقول :

باتت تلوم وتلحاني على خُلُقٍ      عودتُهُ عادةً والجودُ تعويدُ  
قلتُ أتركيني أبع مالي بمكرمةٍ      يبقي ثنائِي بها ما أوزق العودُ (69)

يعبر الشاعر عن عذل العاذلة له بسبب جوده المبالغ فيه ، فقد فطره الله على هذا الخلق ، فلا ينفكُّ وجود على غيره ويكرم ، فلا بقاء لإنسانٍ على هذه الأرض ، فما يبقى إلا الصيِّتُ والذكرُ الطيّب .

ومن الصّور الجميلة للمرأة العاذلة ، ما نقله أبو تمام في حماسته عن خير القلّة على غيرها ، فالقلّة ليست عازراً يلاحق الإنسان ، فالقلّة مدعاة للفخر إن رافقها شهامةٌ وعزّةٌ ومروءة ، ومنه ما قاله السّمؤال بن عادياء (70) :

نُعيرُنا أنا قليلٌ عديدُنا      فقلّت لها إنّ الكرامَ قليلُ  
وما ضرّنا أنا قليلٌ وجارنا      عزيرٌ وجارُ الأكثرينَ ذليلُ (71)

<sup>11</sup>(66) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي ، م ( 1 ) ، ص ( 503 )

(67) / انظر العاذلة في الشعر العربي قبل الإسلام / دراسة ، محمد ، عبدالحسين / زايد ، مولود / ص ( 49 )

(68) / انظر شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي ، م ( 2 ) / ص ( 1006 )

(69) / المرجع نفسه ، م ( 2 ) / ص ( 1006 )

(70) / انظر مجلة التربية ، صورة المرأة في ديوان الحماسة ، الربيعات ، عمر / الخرشة ، أحمد ، ص ( 455 )

(71) / شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / التبريزي / م ( 1 ) ، ص ( 87 )

(72) / المرجع نفسه / م ( 1 ) ، ص ( 225 )

(73) / المرجع نفسه / م ( 1 ) ، ص ( 251-252 )

(74) / المرجع نفسه / م ( 1 ) / ص ( 252 )

فالشاعر يدافع عن فكرة مقابل ما قالته العاذلة عن قلة عدد قومه ، مقابل ما تتمتع به القبائل الأخرى ، من كثرة في العدد ، فالعدد ليس مؤشراً على عظمة القوم ورفعتهم ، فالعبرة هنا قائمة على ما يمتلكه القوم من أخلاق فاضلة ، وشجاعة وعزة ، فإنما الأمم الأخلاق .

وقال آخر :

زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدِبٍ      بَجُنُوبِ خَبْتِ عُرَيْثٍ وَأُجَمَّتِ  
كَذَبَ الْعَوَاذِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخَنَا      بِالْقَادِسِيَّةِ فَلَنْ لَجَّ وَجُنَّتِ (72)

فالشاعر هنا يوجه كلامه للعواذيل الذين يتهمونهم بالقعود عن الترحال ، ولكنه يؤكد لهم أن ما قالوه ليس صحيحاً ، فجنذب لم يقعد عن الترحال .

ومن ذلك أيضاً ما جاء على لسان الشاعر الأعرج المعني :

أَرَى أُمَّ سَهْلٍ مَا تَزَالُ تَفْجَعُ      تَلُومُ وَمَا أُدْرِي عَلَامَ تَوْجَعُ  
تَلُومُ عَلَيَّ أَنْ أَمْنَحَ الْوَرْدَ لِقَحَّةً      وَمَا تَسْتَوِي وَالْوَرْدَ سَاعَةَ تَفْرَعُ  
وَقُمْتُ إِلَيْهِ بِاللَّجَامِ مُيَسَّرًا      هُنَالِكَ يَجْزِينِي بِمَا كُنْتُ أَصْنَعُ (73)

نجد أم سهل تعيب على زوجها إيثاره فرسه (الورد) بلبن لقحة ، وهي الناقة التي بها لبن (74) فغضبت عليه وعاتبته عتاب المحبين ، عتاب الزوجة الغيور ، فكيف تستوي مكانتها بمكانة الفرس ؟ فوجهت عدلها لزوجها ، ولكنه نظم هذه الأبيات ليبين لها بأن هذه الفرس ما هي إلا درع الأمان له في حروبه وغاراته ، وهي التي تحفظ له وده في ضرائه ، وتحميه من القتل ، وتحفظ عليه روحه ، لذلك كان إيثاره في مكانه ، مما أثار حفيظة زوجته التي ترى في نفسها صاحبة الحق في الحصول على اهتمام زوجها ومحبتة ، ومن صور محبتة لها إعطائها لبن الناقة .

فهذا الشاعر الخارجي لا ينصرف عن الاهتمام بأمر زوجه فحسب ، بل يفضل عليها فرسه فيخصها باللبن دونها ، ويسجل هذا الشاعر ذلك كله في أبيات طريفة ساخرة ، ينقل لنا عتاب زوجه ولومها له ، بسبب فرسه الذي يفضلها عليها ، ويقدم له لبن ناقته ويرد عليها بسخرية مرة منها ومن شكلها ، ويؤكد لها أن الفرس يستحق ما يقدمه له أكثر .

ومن أشهر أبيات اللوم والعتاب ، ما جاء على لسان عروة بن الورد :

أَقْلِي عَلَيَّ الْلُومَ يَا ابْنَةَ مُنْدِرٍ      وَنَامِي وَإِنْ لَمْ تَسْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي  
دَرِينِي أُطَوِّفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي      أُخْلِيكَ أَوْ أُغْنِيكَ عَنْ سُوءِ مَحْضَرِي  
فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَةِ لَمْ أَكُنْ      جَزَوْعًا، وَهَلْ، عَنْ ذَاكَ، مَنْ مُتَأَخِّرِ؟  
وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَنْ مَقَاعِدِ      لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ الْبُيُوتِ، وَمَنْظَرِ (75)

وجه الشاعر خطابه في هذه القصيدة إلى امرأته سلمى ، وكانت تلومه على المخاطرة بنفسه وإدمانه الغزوات والغارات في أحياء العرب ، فرد عليها قولها بأنه إنما يبغى بذلك المجد وجمع المال لها ليكفيها بعد موته ، ثم هو يرسم سياسة للصعاليك ، فهو لا يرضيه الصعلوك الخامل الذي لا يسعى لالتماس المال ، وإنما يريد على أن يكون غازياً جريئاً ، يخشاه الناس في المحضر والمغيب ، ولا يأمنون غزوه .



وتأسيساً على ما سبق نلاحظ وجود صوتين في القصيدة ، الصوت الخفي صوت العاذلة، والآخر صوت المكابرة في قوله ( ذريني ) ، ومن ثم تقوده العاطفة إلى التعبير عن يأسه من البحث عن الخلود الحقيقي ، فيحاول البحث عن الخلود المعنوي ، من خلال التّطواف في البلاد ، بحثاً عن الرّزق على عادة الصّعاليك (76) .

إنّ الحياة التي يحيها الصّعلوك يحيط بها الخطر من كلّ جانب ، فالصّعلوك معرّض للموت في كلّ لحظة ، هذا الأمر جعل المرأة مهتدة بالتّكل في أي وقت ، ممّا دفعها إلى الخوف عليه من النّهاية المحتمة (77) .  
ومن ذلك أيضاً ما قاله أبو كدراء العجلي في زوجته :

يا أمّ كدراء مهلاً لا تلوميني      إنّني كريمة وإنّ اللّوم يؤذيّني  
فإنّ بخلت فإنّ البخل مُشترِك      وإنّ أجد أعط غفواً غير ممنون (78)

فالمرأة العربيّة الجاهليّة على الرّغم من حبّها لزوجها ، إلّا أنّها دائمة اللّوم والعتاب له على إسرافه وكرمه المبالغ فيه ، فقلما نجدها تعذل أباها أو أباه ؛ لأنّها ترى في مال زوجها مالاً لها ولأبنائها ، فراحت تلومه على إسرافه الذي لا طائل منه .  
وبعد السرد المتواضع لصورة المرأة العاذلة ، نجدها صورة متواترة الحضور في الشّعر العربيّ القديم ، فقد كانت المرأة قناعاً يلجأ إليه الشّاعر ليعبر عما يعاني منه ، ويجعلها تحاوره ويحاورها ، فوجود المرأة يخلق توازناً نفسياً لديه ، لذا لجأ إلى صورة المرأة بصفتها القناع الفنّي الذي يخفي وراءه اعترافات الشّاعر بما يعاني منه (79) .

### الخاتمة :

لا تخفى على أحد صورة المرأة في الأدب عامّة ، وفي الشعر خاصة ، فالمرأة ملهمة الشّعراء ، وزينة القصائد ، والتاريخ الأدبي خير شاهد على ذلك ؛ فبنظرة عاجلة على الشّعر العربيّ في العصر الجاهليّ لا تخطئ العين صورة المرأة البارزة والجليلة في أشعار الجاهليين ، ويكفي أنّ ما من معلّقة من المعلّقات العشر - وهي أجود عشر قصائد في الشّعر الجاهلي - إلا واستهلّت بالحديث عن المرأة والوقوف على أطلالها المندرسة والنكاء على فراها .  
وجاء الإسلام ولم يتخلّ الشعراء كليليّة عن هذا المبدأ ؛ فنرى المقدّمات الطلليّة والغزليّة عند شعراء صدر الإسلام الذين عاصروا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمثال: حسان بن ثابت شاعر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكعب بن مالك ، وغيرهما .  
فبعد أن سبرنا أغوار ديوان الحماسة للشّاعر أبي تمام ، وتتبعنا ملامح المرأة في مختاراته بوصفها لبننةً أساسيّة في المجتمع ، وصنواً للرجل ، كما قال عنها الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - : " النّساء شقائق الرجال " نخلص إلى أنّ المرأة قد احتلّت مكانةً متميّزة في شعر شعراء العرب ، ونستطيع أن نقول أنّ المرأة هي الرّكيزة الأساسيّة في معظم الشعر الجاهليّ ؛ سواء قصد الشّاعر المرأة بقصائد مستقلّة ، أم رمز غزله بها من خلال مشاهد عديدة ؛ منها : الطلل وارتحال الطّعائن وغيرهما من المشاهد .  
وقد تعدّدت صور المرأة في ديوان الحماسة ، حيث امتدّت صورها في الديوان بأبوابه كافّة ، بين أشعار أنشدتها بنفسها ، أو ما جاء على لسان شقيقها الرّجل ، وظهرت صورة المرأة فيه على عدّة أشكال منها : المحبوبة المستهامة ، والزّوجة المشاركة لزوجها في تفاصيل حياته ، والعاذلة له على إسرافه وتبذيره ، أو تهوّه وإلقائه بنفسه إلى النّهلكة ، والغانية التي تغتني بجمالها ، والنّادبة النّائحة البكاءة . وقد تكرّرت صورة المرأة العاذلة بشكل لافت للغاية ، ممّا يشير بشكل أو بآخر إلى طبيعة الحياة العربيّة التي تغتدق إلى الاستقرار ، فقد أكثر العربيّ من الترحال بغية البحث عن الكلأ والماء ، ممّا يجعل من المرأة حصناً يواجه تقلّبات الرّجل والحياة التي يحيها ، وتُحاول جاهدة ردّه عن الكثير من الأمور التي - من وجهة نظرها - لا عائد لها ، وقد حافظت المرأة العربيّة على مكانتها ، رغم ما تعرّضت له من اضطهاد في بعض جوانب حياتها ، ولكنّها استطاعت أن تشارك الرّجل في حربه وسلمه ،

وحزنه وفرحه ، وكانت خير معين له على قضاء حوائجه ، لذلك تنفي هذه الدراسة المقولة الشائعة إنَّ العربيَّ كان يتخذ من المرأة أداة لتفريغ أهوائه ، أو أنَّها كانت كالزَّحاحل تحلَّ أينما حلَّ بعلها ، فقد سادت المرأة في الجاهليَّة ، وعظمت سيادتها بمجيء الإسلام ، الَّذي رفع قدرها زوجةً وأمًّا وأختًا ، وأعطاهَا مكانة لم تكن لها لولا دين الرِّحمة .

## المصادر والمراجع

### المراجع العربية:

- البغدادي ، أبو الحسن ، كتاب الاختيارين ( اختيار المفضل الصَّبِّي والأصمعي من أشعار فصحاء العرب في الجاهليَّة والإسلام ) ، تحقيق : محمَّد السَّيِّد عثمان .
- التَّبْرِيْزِي ، الخطيب ، أبو زكريَّا الشَّيْبَانِي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، المجلد الأول والثَّانِي ، دار الكتب العلميَّة ، الطَّبعة الأولى 2000 م .
- تجور ،فاطمة ، المرأة في الشَّعر الأموي \_ دراسة \_ منشورات اتِّحاد الكتَّاب العرب / 1999 م
- حسين ، عذرا ، الرِّثاء في الشَّعر الجاهلي والإسلامي ، كليَّة القانون / جامعة الرِّافدين مجلَّة الأستاذ ، العدد ( 208 ) / المجلد الأول 2014 م .
- الخرشة ، أحمد / الرِّبِيحَات ، عمر ، مجلَّة التَّربيَّة \_ مجلَّة علميَّة محكَّمة للبحوث التَّربويَّة والنَّفسية والاجتماعيَّة \_ ، صورة المرأة في ديوان الحماسة لأبي تمام ، العدد ( 154 ) / الجزء الأوَّل 2013 م .
- السَّنْجَلَاوِي ، إبراهيم ، العاذلة في الشَّعر الجاهلي / المجلَّة العربيَّة للعلوم الإنسانيَّة ، مجلس النَّشر العلمي \_ جامعة الكويت ، المجلد ( 7 ) / العدد ( 28 ) / 1987 م .
- أبو سويلم ، أنور ، المطر في الشَّعر الجاهلي ، دار جليس الزَّمان ، الطَّبعة الأولى 2003
- ضيف ، شوقي ، العصر الجاهلي / تاريخ الأدب الجاهلي ، دار المعارف ، الطَّبعة الثَّامنة .
- ضيف ، شوقي ، فن الرِّثاء ، طبعة دار المعارف المصريَّة ، الطبعة الثَّامنة .
10. الطَّبَّاع ، عمر فاروق ، قصائد العشق والجمال في الشَّعر العربي ، دار القلم ، الطَّبعة ( 1 ) / 1993 م .
11. محمَّد ، عبد الحسين / مولد محمد زايد ، العاذلة في الشَّعر العربي قبل الإسلام \_ دراسة في البنية الموضوعيَّة الفنيَّة \_ / كليَّة التَّربيَّة المفتوحة \_ ميسان / مجلُّو ميسان للدراسات الأكاديميَّة / المجلد ( 8 ) / العدد ( 15 ) كانون الأوَّل 2009 م .
- مهنا ، أحمد ، المرأة في شعر الصَّعاليك في الجاهليَّة والإسلام ، رسالة ماجستير ، كليَّة الآداب ، الجامعة الإسلاميَّة / غزَّة ، 2007 م .

### قائمة المراجع المرومنة:

Al-Baghdadi, Abu Alhassan, Alekhtyarain book (Ekhtyar Al-Mufadhal Aldhabbi wa Alasma'i men Asha'ar Fusaha' AlArab fe Aljahlyya wa Alislam), investigated by: Mohammad Al-Sayyed Othman.

Al-Tabrizi, Al-Khateeb, Abu Zakaria Al-Shaibani 2000 , Sharh Diwan Alhamasah for Abi Tammam, Vol 1 and 2, Dar AlKotob Alelmiyah, first edition.

Tajour, Fatema ,1999, Almar'a Fi Alshe'r AlOmawi\_A study\_ Published by Arab Writers Union .

Hussain, Athra , 2014, Alretha' fe Alshe'r Aljahili wa Alislami, Faculty of Law/ Al-Rafidain University, Al-Ostath Magazine, Vol (208)/ First book.

Al-Khresha, Ahmad / Al-Rbeihat, Omar , 2013, Altarbiya magazine\_ A scholarly journal for educational, psychological and social researches\_, Surat Almar'a fi diwan Alhamasah for Abi Tammam, Vol 154/ part one.

Al-Sanjalawi, Ibrahim , Vol 28/ 1987, Al-Athela fi AlShe'r Aljahili, Arabic magazine for Islamic sciences, Scientific publishing committee\_ University of Kuwait, Book 7,.

Abu Sweilem, Anwar ,2003, Al-Matar fi Alshe'r Al-Jahili, Dar Jalees Al-Zaman, First Edition.

Dhayf, Shawqi, Al-asr Al-Jahili/ Tareekh Al-adab Al-Jahili, Dar Al-Ma'aref, Eighth Edition.

Dhayf, Shawqi, Fan Al-Retha', Dar Al-Ma'aref Al-Masriyyah Edition, Eighth Edition.

Attabba', Omar Farouq ,1993, Qasa'ed Al-esheq wa Al-Jamal Fi Al-She'r Al-Arabi, Dar Al-Qalam, Edition (1) .

Mohammd, Abd AlHussain / Mawled Mohammad Zayed , December 2009, Al-Athelah fi Al-She'r Al-Arabi Qabl Al-Islam\_ A study in the subjective technical structure\_/ Open educational Collage\_ Mesan / Mesan Magazine for Academic Studies / Book 8 / Vol 15 .

Mhanna, Ahmad, 2007 , Al-Mar'a Fi She'r Al-Sa'aleek Fe Al-Jahiliya wa Al-Islam, Masters' Degree Research, Faculty of Arts, Islamic University, Ghaza .